

الفلسطيني، وهذا الالتزام أدى بالمنظمة إلى فقدان أهم أوراق الضغط على طاولة المفاوضات، وجعلها دائماً مطالبة بإشغال فتيل الحرب الأهلية.

وكان أكثر ما عاب سلوك السلطة طوال العقد الماضي هو إبرام صفقات مع العدو على حساب الشعب الفلسطيني وقواه اللذين تحملوا من الدل والمهانة ما تعجز سنوات طويلة عن غسلها، كقضية الاعتقال السياسي بحق قادة وكوادر في فصائل المقاومة خصوصاً الإسلامية منها، والمواقفة على اعتقال مناضلين كأحمد سعادات والمتهمين باغتيال الوزير الصهيوني رحبعام زئيفي واعتقال فؤاد الشوبكي في سجن فلسطيني بإدارة أمريكية بريطانية، أو صفقة الموافقة على إبعاد العشرات من بيت لحم الذين حاصرتهم (إسرائيل) داخل كنيسة المهدي.

3- إضعاف العلاقات الفلسطينية الداخلية: وهذا الأمر عكس نفسه جلياً على عدم قدرة الجانب الفلسطيني من توجيه خطاب موحد للشعب في الوطن والشتات أولاً، وللعالم والمجتمع الدولي من جهة أخرى. وقد بدا واضحاً أن هناك خللاً جوهرياً في العلاقة التي رسمت نفسها بين السلطة والشارع الفلسطيني في الضفة والقطاع إذ افتقر خيار المقاومة ومواجهة العدو الصهيوني، وخيار المفاوضات والسعي الدائم من قبل السلطة للحفاظ على كيانها القيادي بدل الشروع في حوار وطني جاد ومسؤول يعيد القضية الوطنية بلكيتها إلى سياقها الطبيعي باعتبارها قضية تحرر وطني لشعب يرزح تحت سياط الاحتلال العسكري.

وقد كان لهذا الافتراق والتناقض الفلسطيني الداخلي أثره السلبي البالغ على الوحدة الوطنية الفلسطينية، لا سيما بعد أن قامت السلطة الفلسطينية بخطوات خطيرة وصلت حد محاكمة المقاومة ووضع العراقيل أمامها، وأثر ذلك سلباً على دعم وتناغم الشارع العربي مع المقاومة في فلسطين، بل إن ذلك طال أيضاً حركة الدعم والتضامن العالمية التي أعادت لها الانتفاضة بريقها ووهجها ودفعت بها خطوات نوعية إلى الأمام.

3- تغييب الشارع الفلسطيني: لم يكتف الجانب الفلسطيني الرسمي بتغييب الشارع الفلسطيني عما يدور في المفاوضات، ولكن كانت هناك عملية تضليل متممة تجري عبر الإعلام الفلسطيني الذي كان يتعمد تغييب الرأي الآخر.

4- عدم معالجة مشكلات الفقر والبطالة على أساس برنامج وطني متفق عليه بديلاً للوضع

الراهن الذي يتسم بالفوضى والمحسوبية والتمييز والتكسب وغيرها من المظاهر التي تمس بكرامة المواطن ولا توفر حلولاً مقبولة للمشكلة المتفاقمة.

ج- العلاقة مع (إسرائيل)

عملت القيادة الفلسطينية، لاسيما خلال السبع سنوات الأولى من أوسلو (١٩٩٣-٢٠٠٠)، أي قبل الانتفاضة، على الوفاء بالالتزامات المطلوبة منها، لإبداء حسن النية وإظهار الرغبة بالقدرة على تفهم الواقع الجديد والعيش المشترك بين الفلسطينيين والإسرائيليين في كيانين متجاورين. وطبعاً فإنه وخلال هذه الفترة تضاعف النشاط الاستيطاني في الأرض المحتلة وصودرت الكثير من الأراضي ونشطت محاولات تهويد القدس. وبعد سبع سنوات لم يجد الفلسطينيون، تحت سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة، إلا ما مساحته ٤٠% من أرضهم، في نطاق من السيطرة الإسرائيلية، لا سيما على المعابر والطرق والاقتصاد؛ وهو الأمر الذي دفع بالفلسطينيين إلى الانتفاضة.

وقد قدمت القيادة الفلسطينية كل ما عندها في مجال التسوية مع الإسرائيليين، وفي محاولاتها بناء جسور الثقة معهم وهو ما يعترف به الإسرائيليون أنفسهم ويتخوفون من نتائج معاملة شارون عرفات.

ويقول الكاتب الصهيوني يهودا ليطاني في مقال له: «ماذا يحصل إذا أعلن عرفات ذات صباح عن حل السلطة الفلسطينية؟ (إسرائيل) ستقف عندها أمام مشكلة حقيقية: إعادة السلطة الإسرائيلية المباشرة على كل الأجهزة المدنية في المناطق، والتي يديرها الفلسطينيون منذ تسع سنوات».

لكن الموقف الصهيوني كان على العكس تماماً فهو غير تكتيكاته باستمرار بهدف الضغط من كل الجهات على السلطة لتلبية كل ما تتطلبه المصلحة الإسرائيلية: كما في طلب توجه السلطة إلى وقف الانتفاضة الراهنة، ودعوتها للقيام بمقاومة الجماعات الفلسطينية المقاومة للاحتلال. ولا شك أن توجهها كهذا يدفع السلطة الفلسطينية للانتهيار لعجزها عن تنفيذ المطالب والرغبات الإسرائيلية.

د- الخلل في العلاقات الخارجية

فمن الملاحظ وجود تدهور وتردي لعلاقات السلطة مع الخارج. وهو أمر لا تحكمه سياسات السلطة، بل مواقف الأطراف الأخرى من السلطة،

خصوصاً وفي الموقف من القضية الفلسطينية عامة. - الموقف العربي: على سبيل المثال إن تأثيرات الموقف العربي في دفع السلطة الفلسطينية للانتهيار تبدو واضحة، ولعل أبرز ما يجسدها غياب دعم سياسي ومادي عربي فعال للسلطة في مواجهة الضغوطات الإسرائيلية - الأمريكية، وفي مواجهة نتائج سياسة (إسرائيل) الدموية سواء في توجيهها نحو ضرب السلطة الفلسطينية ودفعها للانتهيار، أو بالسعي لتدمير الواقع الفلسطيني كله.

إن غياب الدعم السياسي للسلطة الفلسطينية ملموس في عدم اتخاذ إجراءات فعالة ضد سياسة الكيان الصهيوني من خلال العلاقة مع الدول ومع المنظمات الدولية، حيث لم تتحرك الدول العربية بصورة جدية وفاعلة لإدانة سياسة (إسرائيل)، وفضلت البقاء على محيط المناشدة لوقف السياسة الصهيونية.

- موقف الولايات المتحدة: تبنت موقف الدولة العبرية بصدد ما هو مطلوب القيام به من جانب السلطة الفلسطينية في ضوء تطورات الانتفاضة.

احتمالات الانهيار

وبناء على هذا الواقع تتزايد التقديرات القائلة بأن السلطة الفلسطينية تتجه نحو الانهيار. ويرتبط احتمال انهيار السلطة الفلسطينية بالواقع السائد في الأراضي الفلسطينية، حيث يتزايد تدهور الواقع الأمني والسياسي، وتتفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. ويسوء الواقع المعيشي والصحي والتعليمي، مما يجعل الحياة الفلسطينية تواجه مأزقاً متعدد الأبعاد، يقربها من استحالة الاستمرار في أوضاعها وصيغها الراهنة.

والتخوفات من انهيار السلطة هي تخوفات حقيقية ومحتملة بدأت فصولها الأولى تتوالى ومنها: عجز السلطة عن دفع رواتب ومستحقات جهازها الإداري، وفي عجزها عن تلبية احتياجات الفلسطينيين، ليس في الجوانب الأمنية - الدفاعية، بل أيضاً في الخدمات الصحية والاجتماعية، التي يفترض القيام بها من جانب السلطة الفلسطينية وكلها مقدمات لانتهيار السلطة الفلسطينية.

وإذا استمرت هذه المعطيات وتطورت بشكلها الحالي، قد لا يمر وقت طويل حتى تنهار السلطة الفلسطينية، ويسود الفراغ في مناطق الضفة وغزة، مما يمهد لحدوث تطورات دراماتيكية من الصعب التكهّن بها وإن كان من الممكن القول: إن إشكاليات سياسية واجتماعية واقتصادية كبرى سوف تظهر. ■